

وجدت لها انصاراً ومريدين لدى العامة؛ اذ ما زالت هذه الطبقة تتمسك بالحدود التي تمتد من نهر الفرات، في أعالي الجزيرة في سوريا حسب التقسيم الجغرافي الحديث، حتى نهر مصر، وهو نهر النيل، متجاوزة، في ذلك، الحدود التي تعتبر مقدسة، وهي تفترق - حسب هذا الرأي - عن الارض الموعودة. وقد جعل هؤلاء الارض الموعودة تشتمل على ارض كنعان كافة، التي حدّدت خلال معاهدة رمسيس الثاني مع الحثيين في القرن الثالث عشر قبل الميلاد؛ وفي تفسير آخر بحيث تمتد لتصل من النهر الى النهر. وبذلك تتكون الحدود، في الوصف الديني، من الغرب البحر الابيض المتوسط، ومن الشرق، باتفاق التيارات الدينية، بادية الشام، ومن الشمال يلتقي حدان: الاول ويشتمل على الجولان وجبل الشيخ ومرتفعات لبنان حتى صيدا، وبذلك تدخل المرتفعات السورية واللبنانية داخل الخارطة الدينية؛ والثاني يصل بتلك الحدود حتى نهر الفرات؛ وأما في الجنوب، فانها تصل الى نهر النيل في حدّها الاقصى؛ وأما في حدها الادنى، فانها تقف عند وادي العريش في سيناء المصرية.

وبعد ان اجتهدت الصهيونية في استنباط النصوص التشريعية التي تصنع لها سياجاً من الحماية الدينية، والتي مؤداها ان الله قد منح الطوائف اليهودية، باعتبارها تشكل، في مجموعها، «الشعب المختار»، تلك المساحة الجغرافية التي تسمى ارض كنعان، بعد ان قطع الله مع هذه الطوائف العهد والميثاق. وتوجّهت الصهيونية بهذه العقيدة المستحدثة الى اليهود في اماكن انتشارهم كافة في عملية استقطاب وتنظيم واسعة الانتشار. وبجانب ذلك، وفي خط مواز تماماً، عملت الصهيونية على استيلاء مقولة جديدة تشير الى ان فلسطين كانت، في الزمن التاريخي، ملكاً لليهود، اقاموا عليها دولتهم التي امتدت لفترة طويلة من الزمن، وهم على تواصل دائم مع هذا التاريخ الذي لم ينقطع عبر الزمان.

وهذه المقولة المستحدثة تتطلّب منّا، بالضرورة، استرجاع التطور السياسي لليهود في فلسطين بشكل مقتضب للغاية، لأن البحث في الجزئيات التفصيلية سوف ينأى بنا عن مضمون هذه الدراسة، ويبعدنا من الهدف المرسوم لها، وذلك لبيان مصداقية هذه المقولة من خلال السرد التاريخي للوقائع المعتمدة. وتعتبر التوراة المصدر المتميز في هذا الجانب، وعلى الرغم من ان كثيراً من الوقائع الواردة فيها قد نقضتها الاكتشافات الاثرية التي تقدّمت خطوات واسعة في السنوات الاخيرة، في ظل التقدم العلمي التكنولوجي المعاصر. ومع ذلك، فاننا نعود الى استنطاق النصوص التي تقدّمها لنا الشريعة الموسوية، باعتبارها المستند الرئيس الذي تأخذ به الطوائف اليهودية عند بيانها لهذا الموضوع وعرضها له، في محاولة الاقناع التي حملت لواءها، بغية استمالة الآخرين، خصوصاً تلك المقامات المتنفّذة، والتي تمسك بزمام السلطة، وتقوى على اتخاذ القرار النافذ في حينه.

فبناء على رواية التوراة، نجد ان ابراهيم (عليه السلام) لم يمتلك اية اراض في فلسطين، سوى قطعة صغيرة من الارض التي اشتراها من الحثيين، لاستخدامها مدفناً لزوجته، عقب وفاتها^(٤). وأما اسحق، فأشارت الرواية الى انه لم يستقر في مكان خلال الفترات التي اعقبت وفاة ابيه؛ كما ان الفلسطينيين قد اجبروه على الترحال المتوالي^(٥)؛ كما تحكي قصة يعقوب الحافلة بالترحال داخل ارض كنعان؛ وكذا رحلته الى صيدون؛ ثم اقامته في مصر سبعة عشر عاماً^(٦). وبالنسبة الى اسباط اسرائيل، فقد نزلوا الى مصر في عهد يوسف (عليه السلام)، واستقرّوا بها لفترة قصيرة^(٧). وعن موسى، نجد انه ولد في مصر؛ ثم هاجر الى مديان؛ ومن ثمّ قاد عملية الخروج من مصر، حيث تاه في الصحراء اربعين عاماً، الى ان مات في ارض مؤاب في شرق الاردن، ولم يدخل الى الارض الموعودة^(٨). وبعد موت موسى، خلفه خادمه يهوشع بن نون، الذي قاد المهاجرين الى ارض كنعان، والتي دخلها في شكل تسلسل